

صاحب الجلالة الملك يدلي بحديث للمجلة الإيطالية (كلاس)

سؤال ــ ما رأي جلالتكم في مهنة الملك في سنة 2000 ؟ فقد بدأ الناس في أوربا على الأقل يفهمونها كمهنة بائدة ؟

جواب ــ رأيي كما يقول مثل فرنسي : ما المهنة بغبية، وإنما الناس هم الأغبياء، فليست المهنة القبيحة ولكن الناس قبيحون، قيمة الحرفة في قيمة من يحترفها، وهي رهينة بكل شخص، فإذا كان الملك جيدا فالمهنة جيدة، غير أن الملكية عندنا أو في أوربا ليست مفارقة تاريخية، فلِلْمَلكيات الأوروبية اليوم دساتير، وقد دل التاريخ الحديث على أنه إذا كان للعاهل شخصية ونفوذ فهو لا يحكم فقط ولكنه يشعر بوجوده على العرش.

سؤال ــ ما هي التعاليم التي تلقنونها لابنكم الأكبر ولي العهد سيدي محمد اعداداً له لكي يصبح ملكاً جيداً ؟

جواب ــ للأسف ليس الأمر مثل ما هو عليه فن الطهي، ففي هاته المسألة ليس ثمة طريقة للاعداد المطبخي لأن الناس يتغيرون، وطبائعهم شتى، فطريقة جدي ليست طريقة أبي، وطريقة أبي ليست طريقتي التي ليست طريقة ابني.

المهم أن يُلقَّن عدداً من المبادىء، قبل كل شيء الاستقامة الخُلقية، أن لا يكذب أبداً، أن يكون خادماً لكل واحد دون أن يكون عبداً لأحد، وأكرر : الملك يجب أن يكون خادما للجميع دون أن يكون عبداً لأي كان، وإلا وقعنا كلياً في مأساة الملكيات حيث يكون الحُجَّاب أو الوزراء الأولون أو الكاردينالات هم الملوك الحقيقيون يحكمون عوضا عنهم.

سؤال ــ ما هي المهنة التي كانت جلالتكم تريد احترافها لو لم يكن ملكا ؟

جواب ــ كنت أريد أن أدرس التاريخ، ولكن أبي قال لي عليَّ أن أتوجهَ نحو القانون فأطعتُه، وبعد ذلك أدركت أنه كان على صواب.

سؤال ــ في رفوف خزانة جلالتكم أرى ستة كتب في التشريح.. هل كنتم تحبون أن تصبحوا طبيباً ؟

جواب ــ كنت أقول لنفسي إن حكم الناس بالقوانين شيء حسن ولكني أدركت أيضا أني سأفعل ذلك جيدا لو عرفت أيضا غُددَهم وجهاز إفرازها وارتكاسها.. ولهاته الغاية شعرت بجاذبية نحو الطب الذي درسته خلال سنتين ونصف في المنفى دون أن أتابع دروساً منتظمة لأنه لم تكن في ذلك الوقت جامعة للطب بمدغشقر.

إن الطب علم جد مفيد، فالطبيب الذي يجمع بين الطب والقانون لهو من الرجال اللامعين، ولسوء الحظ لم أستطع أن أفعل ذلك.

سؤال ــ هل تطرح على جلالتكم ــ مثلما هو حال كل شخص محترف لمهنة ــ مشكلة تقسيم وقتكم بين شؤون الدولة وشؤون أسرتكم ؟

جواب ــ لا، المسألة بالنسبة لي غير مطروحة، فلابد مما ليس منه بد، وحينما يناديني العمل لابد أن أتخلى عن راحتي الشخصية لأذهب حيث يُحتاج إليَّ.

سؤال ــ صرحت جلالتكم بأنكم تجدون كل يوم فسحة من الوقت تخصصونها لأولادكم ؟

جواب ــ نعم، هذا حق.

سؤال ــ وأنكم في الواقع أب صارم

جواب ــ ان الآباء اليوم مستعفون من دورهم، وهذه كارثة على المجتمع.

سؤال ــ هل ينبغي أن يكون الأب الملك أقسى من سائر الآباء ؟

جواب ــ لا أكثر ولا أقل، وعندي أنه ليس لأب أن يشرح سبب اتخاذه قرارا من القرارات قبل أن يبلغ أبناؤه سناً معيناً، فلا فائدة من أن تفسر لطفل ذي ست سنوات السبب الذي من أجله اتخذ أبوه تدبيراً ما لأنه لا يقوى على فهمه، لكن ابتداء من السنة الثانية والثالثة عشرة لابد أن يفسر له : لهذا عوقبتَ، ولهذا حرمت من السيارة طيلة أسبوع، (وهذا ما وقع لي)، ولهذا لن تتمتع بالعطلة هاته السنة : (وهذا ما حدث لي) كل هذا يقع عند بلوغ سن معقول، وبعكس ذلك إذا قدمت تعليلات لطفل فإنه أولا لا يستطيع فهمها ثم إنه قد يؤولها على أنها ضعف من أبيه.

سؤال ــ خلال سنوات التكوين لجلالتكم هل تعرضتم لتدابير قاسية خاصة من لدن والدكم ؟

جواب ــ عندما كنت في العاشرة من عمري أمر والدي بتعليمي البيانو والسولفيج، وبعد مدة معينة منعني من ذلك لأني كنت شغوفاً بالموسيقى، فكان يرى أنه لا يجوز أن تكون لي في حياتي هوايتان : فإما مهنتي الملكية واما الموسيقى، ومنذ ذلك اليوم حرم علي أن أعزف على البيانو، ودون استثناء هاته هي قصتي مع الموسيقى.

سؤال ــ قصة لم تنته، لأن جلالتكم تعزفون بعدة آلات موسيقية وتسيرون...

جواب ــ ليست الموسيقى فصلا طوي عندي ولن يطوى، فلنقل إنه انتقل إلى الرتبة الثانية، وإن كان بالامكان أن يظل في المرتبة الأولى.

سؤال ــ كان لجلالتكم في صغركم ولع آخر : شاطوبريان، فهل لاتزالون مؤثرين للأدباء الكلاسيكيين الفرنسيين ؟

جواب ــ أن نحب كتب الأدب الكلاسيكي الفرنسي ليس معناه إهمال أنواع الأدب الأخرى، بتكويني الأنسي قرأت ــ ولله الحمد ــ تحفاً رائعة مثل الالياذة والأوديسة ولكتاب مثل بلوطارك وغيره، ولسوء الحظ لم أتمكن من مطالعة الطرائف الرائعة التي كنت أحبها وبلغتها الأصيلة.

سؤال — المغرب من خلال العربية والفرنسية بلد الثقافة المزدوجة ؟

جواب — من لا يتكلم اليوم إلا لغة واحدة أصبح في عداد الأميين.

سؤال — صار المغرب ركيزة الفرانكوفونية، فأي مدى بلغه تغرب البلاد ؟

جواب — ينبغي التحدث عن اللاتينوفونية أكثر من الفرانكوفونية، لأن المرء إذا كان يتكلم باللاتينية لا يتوقف عند مسدس جغرافي ولكنه يذهب من تريستا إلى مالقة، وإذن عن جميع الحضارة اللاتينة العربية التي تزخر بثروات عظيمة، لا عن الماضي فقط، بيد أن ماضي رجال يسكنون على ضفاف البحر الأبيض المتوسط أجمل من حاضرنا، فلن ننتج الكافي لنتنافس اليوم، علينا أن نبذل جهوداً جبارة نميز بها دورنا كشعوب متوسطية، دون أن نعيش على الماضي فقط.

سؤال — لكن حب الماضي بديهي في أشغال ترميم قصور جلالتكم بمراكش مثلا، وأيضا بفاس حيث رمم كل شيء حسب طراز الحسن الثاني ؟

جواب — أنتم ترون أن الطراز المغربي المنبثق عن الطراز الأندلسي المغربي — الذي يمكن تمليه بقصر الحمراء بغرناطة وقرطبة واشبيلية ومساجدنا العتيقة — لمن الثراء والنشدان بحيث لو أضفت إليه تعقيداً زائدا لحصلت على نتيجة مفجعة، على أنني أرى لزوم احترام ما هو جميل بالاقتصار على البساطة دون زيادة أدنى شيء، والأمر الذي استطعت عمله هو أن نصنع بالجبص ما كان يصنع بالنحاس، وبالنحاس ما كان يصنع بالخشب، ثم نلائم بين المجموعتين، فالذهاب إلى أبعد من ذلك خطأ، لأنه كما يقول المثل : الأحسن عدو الحسن، وباختصار كان ينبغي احترام التقليد العريق الكبير وإبراز الطابع بلمسات صغيرة فقط.

سؤال — حرصت جلالتكم على ترميم المبنى الذي كان يأوي الاقامة العامة ومكتب الماريشال ليوطي، وستكون فيه أيضا صور جميع المقيمين العامين الفرنسيين بمن فيهم صورة المقيم الذي نفى جلالتكم وأباكم ؟

جواب — طبعاً، فليست لنا عقدة في تاريخنا من أجل أربعين سنة من الحماية، فما شأن 40 سنة بالنسبة لـ 1400 سنة من التاريخ ؟ لا شيء على الاطلاق، ولا محيد لنا عن أن نظهر ذلك للأجيال الصاعدة، ثم هناك شيء آخر جد مهم، وهو أن أبي كان — على ما أظن — الملك الوحيد الذي نفي ثم عاد إلى العرش، وسبب هذا كله كان غباوة ارتكبها مقيم عام فرنسي، هذا كل ما في الأمر، وأكرر : ليس ثمة من عقدة نفسية.

سؤال — ألفتم كتاب مذكرات، «التحدي» الذي يتوقف عند سنة 1976، فهل لجلالتكم كتاب آخر في طور الاعداد ؟

جواب — نعم، يمكن أن تكون هناك تتمة طبعة أخرى منقحة من «التحدي»، إن «التحدي» يطرق — بكيفية جد سطحية فقط — أشياء أعرفها لأني قابلت عددا من الشخصيات التاريخية، فلنقل ان هذا الكتاب يتناول العشر — أو الربع على الأكثر — مما يمكن أن أحكيه.

سؤال — بما أنكم بدأتم مبكرين في تعلم مهنة الملك فقد كان لجلالتكم الوقت لمعرفة كبار رجال الدولة في عهد الحرب وبعده : جميع الرؤساء الأمركيين منذ روزفليت، ودوكول، وتشرتشل، وتيتو، وفرانكو، من هي الشخصية التي أنتم أكثر إعجاباً بها من غيرها ؟ ولماذا ؟

جواب ـــ لنقل ان جميع الشخصيات التي ذكرتم أسماءها جديرة بالاعجاب في نظري، وأظن أنكم نسيتم آخرين، مثل البانديت نهرو وسيكوتوري بل وحتى جمال عبد الناصر (على الرغم من أغلاطه المضرة بالعالم العربي).

كانوا جميعا رجالا عظماء، لكني أشعر شخصيا بجاذبية خصوصية نحو يوحنا بول الثاني لأنه ليس رجل دولة مائة في المائة، ولا هو بابا مائة في المائة، إنه الرجلان معاً، لأنه شخصية كانت به حياة خصوصية تماما، كان عاملا وكان نقابيا وعركه الدهر، وعندما يتحدث عن الانسان فإنه يعني ما يقوله، وحوله هالة قدسية خاصة، ففي المرة الأولى التي لقيته كنا سنتحادث عشر دقائق، فإذا بنا تحادثنا طيلة ساعة.

سؤال ـــ وبعد ذلك جاء البابا لزيارة المغرب...

جواب ـــ نعم في شهر غشت 1985، كانت هي المرة الأولى التي يزور فيها البابا بلدا ليست فيه طائفة نصرانية.

سؤال ـــ لنعد إلى الفنون الجميلة يا صاحب الجلالة، يقال ان لكم ميلا نحو الرسم المعاصر، هل هذا صحيح ؟

جواب ـــ نعم، ولكن يجب أن أعترف في نفس الوقت اني لم أتوقف في إدراك رمزية الرسم العصري الحديث، ولربما سيفهم ذات يوم، ولكني لا أفهمه الآن، بل لا أستطيع أن أقول انه لا يروقني، لأني سأكون جد دعيٍّ، علماً بأني لست عارفا ولا ناقدا فنيا، وحاصل الأمر أني لا أفهمه، وأني لكي أحب وجب أن أفهم.

سؤال ـــ ماهي المعايير التي تعتمد عليها جلالتكم للحكم على عمل فني وتذوقه ؟

جواب ـــ عندي أن على الانتاج الفني أن يخضع لمعيار التوازن، ففي التمثال توازن الحركة، وفي اللوحة توازن بين الامتلاء والفراغ، في الألوان وفي الخلفيات وفي الموضوع الأساسي، فكل عمل فني إنما هو قضية توازن.

سؤال ـــ إن جلالتكم لا يجمِّع الأعمال الفنية فقط، وإنما الخيول العربية أيضا.

جواب ـــ التي هي كذلك عمل فني وبالضبط من له أن يقول ان جواداً عتيقا هو حقيقة عربي أصيل ؟ هناك أنواع جميلة وأخرى ليست بجميلة، ولكن رأيي أن الأصيل مائة في المائة قد لا يكون له من وجود، لأنه في نشدان الكمال توجد أفراس فاسدة الأصل كليا، وأظن مع ذلك أن الجواد العربي الأصيل يمكن تنسيله مجدداً ابتداء من نزو فحل من هذا الأصل على حِجْر عادية، مثلما وقع بالضبط على عهد لويس الرابع عشر، وأتمنى أن يبقى التنسيل مستمرا حتى العثور على جواد عربي أصيل بعد أربعة أجيال أو خمسة أو ستة على الأكثر.

سؤال ـــ هل يحب جلالتكم أيضا حيوانات أخرى ؟

جواب ـــ بقطع النظر عن الخيول إني مولع بالكلاب وبتربية الأنعام بصفة عامة : البقر والغنم، أحب الحيوانات والطبيعة.

سؤال ـــ هل لكم من تسلية غريبة ومن هواية نادرة ؟

جواب ـــ الذِّواقة، حتى أني ابتكرت بعض أنواع الطعام.

سؤال ـــ وملذات الأكل الفاخر ؟

جواب ـــ الذواقة لا تعني البطنة بالضرورة، بحيث إذا كان المرء يطبخ بنفسه فبعد اعداد لا يبقى به جوع بصفة عامة.



سؤال — في أي وقت بدأت هاته الهواية ؟

جواب — كنت لأزال صغيراً وكنت أذهب كثيرا إلى المطبخ لأكل قليلا من المربّى ومن المبردات، كنت أهوى رصد عمل الطباخين عند اعدادهم لطرائق طهيهم، ثم انني — كما قلت سابقاً — وجدت نفسي في المنفى طيلة سنتين ونصف، ففي ذلك الوقت كنت — زيادة على دراسة الطب والتوراة والانجيل — انتفع بأوقات الراحة لأخلق صنفاً جديدا من الطعام، وعلي أن أقول ان هاته الألوان التي كنت أطبخها على مهل كانت في الواقع جيدة، فلكم أن تسألوا من ذاقوها، إن الذواقة مسألة خيال، فلابد من أن تتجانس التوابل فيما بينها مثلما يقع للعطور والألوان، ومعنى ذلك أنها مسألة أناقة.

سؤال — ليس لجلالتكم في هذا المعنى ما يتعلمه لأنكم خلال سنتين لقبتم بأعظم رجل أنيق في العالم، أفلم تكونوا أيضا محظوظين قليلا بإبتكارات خياطكم فرانسيسكو سمالطو ؟

جواب — قبل كل شيء أريد أن أقول ان الانسان خلق أنيقاً وأنه لا ينفك متعهداً لأناقته، وسواء تعلق الأمر بسمالطو أو بغيره، فإذا لم نكن أنيقين بأنفسنا فإن صورتنا لن تتغير، إن الأناقة لهي في العقل قبل كل شيء، فإذا لم يكن المرء أنيقاً فكريا أو خلقيا، وإذا كان الرجل لا يحب الآخرين، فإن المتشائم لن يكون أبدا أنيقا، وأخيرا فإن الأناقة ليست غير أن تحاول أن تكون لبقاً ولطيفاً مع الغير، فعندنا مثل يقول : «كل بشهوتك، والبس بشهوة الناس».

سؤال — بصرف النظر عن صفاتكم الفطرية في الأناقة، كيف استطاع جلالتكم أن يتعهد هذا المظهر من شخصيته ؟

جواب — أنا مدين بكل شيء لأبي الذي كان في هذه النقطة جد صارم، كان يرى أنه ينبغي أن تكون طريقة اللباس سليمة، وحتى لو ارتدينا لباسا غالي الثمن فلسنا في نظره مع ذلك أنيقين، وبعد مرور الزمن نضج اقتناعي بأن الأناقة شكل من الاحترام الذي نكنه للغير، وعندما كنا نستقبل أحدا وعندما نحادث أحدا أو نخطب أمام الجماهير أو أمام التلفزة، فعلينا أن نكون مرتدين للباس مناسب احتراما للجميع، ففي ذلك الوقت لم يكن ثمن اللباس ونوعه شيئا مذكوراً، إذ يمكن أن يكون مخيطا بالجملة، فإذا كانت خياطتُه وكيه جيدين وكان نقيا ومتقنا فهو الكمال.

سؤال — ولكن المسألة أيضا مسألة موضة...

جواب — حقا فليس علينا أن نتدنَّى إلى موضة خشنة (وهي كثيرة)، ويجوز لسمالطو أن يؤكد لكم أني لم أكن قط مُشْتطاً، إذ كنت دائما أحب الطراز الكلاسيكي أو على العكس اللباس غير المعهود، لكن اللباس المتوسط مثل الكوكطيل الذي هو بين الكلاسيكي وغير المعهود، هذا لا أقبله حقاً.

سؤال — حتماً ثمة نوع من التناغم بين جلالتكم وفرانسيسكو سمالطو...

جواب — في هذا الضرب من الأناقة المتعهدة يلزم نوع من التعاون، فلابد من وجود تشارك ومعرفة عميقة متبادلة، فليس الأمر يقتضي تجريباً واحدا بل عملا ثنائيا، عمل فريق.

سؤال — من هي في نظركم الشخصيات السياسية أو غير السياسية الأكثر أناقة ؟

جواب — كنت موقناً أنكم ستلقون علي هذا السؤال، وقررت أن لا أجيبكم عنه، ولن أجيب عنه لسبب جد بسيط وهو أني أعرف شخصيات عديدة وكثيرة يكاد الأنيقون منهم يكونون نادرين، وقد لا أجد استثناءات.

سؤال — هناك موقف نموذجي لجلالتكم، هو أنكم تظلون دوما في توازن كامل، مثل عدم الانحياز للشرق أو للغرب...

جواب — انتهز الجواب لأشير إلى الفرق الكبير بين عدم الانحياز وعدم الالتزام، الانحياز معناه أنه متى قلتم : «أبيض» قلت «أبيض» أو قلتم : «أسود» قلت : «أسود»، الالتزام غير ذلك، فإذا قلتم الحقيقة التزمت معكم، ولكن إذا كنتم، أنتم القوة العظمى، لا تقولون الحقيقة كنت على حق أن أقول لكم : «لا، يا سيدي»، وإني إذ أشرح لكم هذا أريد أن أذكّر بنازلة إيطالية، كان لي احترام كبير وإعجاب شديد بالسيد انريكو بيرلينكر، كان موته خسارة كبرى لكم، كان بيرلينكر أول من علم الأحزاب الشيوعية الأوربية أن لا تكون منحازة ولكن ملتزمة، وعلمها أنه متى كان عدم الاقتناع يحل الحق في أن يقال : «أنا شيوعي، ولكن موسكو ليست على صواب». وهو نفس الموقف الذي أجده في البلدان الغربية إزاء الولايات المتحدة.

سؤال — خلال زيارة جلالتكم للرئيس الأمريكي جيمي كارطر وضعتم النقط على الحروف...

جواب — قلت : «أظن أن الولايات المتحدة صديقة يمكن الاعتماد عليها، لكن عليها أن تكف عن تلقين أصدقائها دروسا في حقوق الانسان والديمقرطية».

سؤال — كانت لجلالتكم علاقات ممتازة أيضا مع الاتحاد السوفياتي...

جواب — كانت لي دائما علاقات ممتازة مع بودكورني وكوسيكين وبولكانين، وطبعا أيضا مع بريجنيف الذي قلت له ذات يوم : «اسمع يا صديقي، حسبنا هنا، فعلى كل حال لن أردك أبدا مسلما، واسمح لي أن أقول لك انك لن تردني أبدا شيوعياً»!

سؤال — هل قلتم مثل هذا الكلام للسيد كورباتشوف ؟

جواب لم ألتق به قط، وأتمنى أن أتمكن من مقابلته، بل أظن أني أستطيع أن أنسجم معه انسجاما جيدا لأننا نكاد نكون أترابا.

الثلاثاء 1 شعبان 1407 — 31 مارس 1987